

أضواء البيان

@ 84 { وَدُّواْ لَّوْ تَكْفُرُوناْ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاءً } . قوله تعالى : { لَنْ تَنفَعَكُمُ الْآرَامُ بِعَصِيَّتِكُمْ } . الأرحام تستعمل في القرآن لعموم القرابة ، كقوله تعالى : { وَآوُواْ لَّوْاْ الْآرَامُ بِعَصِيَّتِهِمْ } ، وقوله تعالى : { يَفْضَلُ } . أي بتقطع الأنساب بينهم ، كما بينه تعالى بقوله : { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ }

وقد بين تعالى نتيجة هذا الفصل بينهم يوم القيامة في قوله تعالى { يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبِ بَيْتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَ مَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ } ، وقوله في موضع آخر : { وَصَاحِبِ بَيْتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُأْوِيهِ } ، فعمت جميع الأقارب وبينت سبب الفصل بينهم ، وما يترتب عليه

وهذه الآية خطاب للمؤمنين في ذوي أرحامهم من المشركين ، كما في قصة سبب النزول في أمر حاطب بن أبي بلتعة في إرساله الخطاب لأهل مكة قبيل الفتح بأمر التجهز لهم

ومفهوم الوصف في أول السياق عدوي وعدوكم ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يدل بمفهوم المخالفة أن أولى الأرحام من المؤمنين قد لا يفصل بينهم يوم القيامة

ويدل لهذا المفهوم قوله تعالى : { وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ } ، وقوله تعالى في دعاء الملائكة من حملة العرش للمؤمنين : { رَبِّ زِدْنَاهُمْ وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ رَبُّهُمْ } ، وَمَنْ صَلَاحٍ مِّنْ عِبَادِنَاهُمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ }

وهذه الآية بيان واضح في أن روابط الدين أقوى وألزم من روابط النسب

وهذا المعنى بالذات تقدم للشيخ رحمه الله تعالى عليه ، الكلام عليه عند قوله تعالى : { إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنِ يَهْدِيَ لِلَّيْلِ هِيَ أَفْوَهمُ } والآية الآتية بيان واضح لحقيقة هذا المعنى وشموله في جميع الأمم